



جوزيف عون... يترحّل باكراً، ليرقد بسلاخ في ثراب "جبال الصوّان"

ورحل الأستاذ جوزيف...
رُبّما، لأنّ كبار القلوب تفتّت أجسادهم باكراً فيترخّلون...
ربّما، لأنّه اطمأنّ إلى ريثان وريبال ومروان، ومعهم إلى سبعة وثلاثين عاماً من عمر المواقب، وإلى الآب والآب من طلبتها الذين نهلوا من معينها ثقافة الحياة.
رُبّما، لأنّه اشتاق إلى الثّراب الذي جاء منه؛ فشّ إلى "جبال الصّوّان" الرّحال؛ لينتقي من صنوبراتها جرّاراً لا يخطي فيه جبران وعاصي، ومنصور... فيخرج لهم هناك منسجحةً جديدةً لأجيال ولدت، ولأخرى لم تولد بعد.
رُبّما، لكنّ هذا رحل الأستاذ جوزيف، لكنّه بقيت لم يرحل ليخطها تشنّاق إليه، ولم يُسرع بالنعاد؛ لينتخذ، فيهو حبيبّ الصبح، والحبيبّ الحبيب لا يُنلّ له مقام... ومن أبناء النور هو... وأبناء النور، خطّاهم تلقّ مُتخذتّ ليس فيه انقطاع.
رحل جوزيف تاركاً في قلوبنا عصمةً هيهات أنّ نزول؛ للجوزيف عند كلّ من عرفه وتقرّب إليه وعاشّره مُعاشرة المدير والرّاعيل والمعلم والزّيق... عصمةً خاصة... حافلةً بحيلةً بلغتها وفرائدها وخصوصيتها... حافلةً لُغتها الحق في أنّ لمطلق لمواظلتها العُدا ونوع لها ما شئتاً من مدى، لكنّها لا تُجبر لنا أنّ نؤمن في الحزن لفلان عن تجربة فريدٍ لمرّتٍ انحاز بامتيازٍ إلى ثقافة الحياة، فخطا إلى المجال الربوي ليخط منه مهنةً ورسالته، وهو الذي لزم من شابه على مبدأ أنّ الفرد جزء من الكلّ، وأنّ كلّ ما فيه للكلّ، وأنّ الكلّ هو وطنٌ خلاصٌ أبنائه لا يكون إلا بالوحي.
أحبّ جوزيف أدب الحياة، والحق أنّ لهذا الأدب قوةً وفرةً حبيبة على البقاء والتّشوير والتّعير؛ فأصرّ بصراحيه "مُتلج" في مسرحية "جبال الصّوّان"، إنّ يلقّ الآلات الرّجعية الخلف إلى أجيال تُمارس عليها شتّى التّغييرات لتنتفع من ثقافتها، وتخلص من حصاريتها فاختار من منسجحات الرّحابة بدايةً، الأصايل عبر المصوّرة، فادّج مع فريفة في تدريب الطلبة عليها وإخراجها، وأدجوا همّ مدّة أداء وتشبيل تيزّ بعفويته وروحه أداء المحترفين، في أصايل سنشكّل لنا ولساتر المهتمين بقضايا اللغة طاهرةً بجثّ أنّ ندرسها بامعان علّما تزيح عن أعيننا عشاوات مُصنّ على التّسكّك بها، فننتقّل كيف انتطاع جوزيف أنّ يُحبّ المسرحية العربية إلى أبناء الجيل الجديد فيصياقون عرباً وأجانباً؛ كي يكونوا ضمن فريفة المسرح، أو يفلتون على حضور مسرحياته بتشعب كبير.
هذا عُضن من قُبض تجربة زلّ من أركان المواقب هو جوزيف عون الذي نوّجه اليوم وداع أخ ورفيق وتعلّم غرس جنبنا حلّ ثقافة الفرح وخبث الحياة، فمن أبناء الحياة هو... وسلاخ على أبناء الحياة يوم يولّدون، وسلاخ طيهم يوم يرحلون، وطوبى لذكراهم الثّابته فرخا في قلوب المحبّين...